

أضواء البيان

@ 76 { كَانَ } ، واسمها مقدّر فيها ، أي : كان الإنفاق بين الإسراف والقتل قوامًا ، ثم قال : قاله الفراء ، وباقي أوجه الإعراب في الآية ليس بوجه عندي ؛ كقول من قال : إن لفظة { بَيِّنَ } هي اسم { كَانَ } ، وأنها لم ترفع لبنائها بسبب إضافتها إلى مبني ، وقول من قال : إن { بَيِّنَ } هي خبر { كَانَ } ، و { قَوَامًا } حال مؤكدة له ، ومن قال إنهما خبران كل ذلك ليس بوجه عندي ، والأظهر الأول . والظاهر أن التوسط في الإنفاق الذي مدحهم به شامل لإنفاقهم على أهلهم ، وإنفاقهم المال في أوجه الخير . وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة ، جاء موضحًا في غير هذا الموضع ؛ فمن ذلك أن اللّٰه أوصى نبيّه صلى الله عليه وسلم بالعمل بمقتضاه في قوله تعالى : { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ } ، فقوله : { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ } ، أي : ممسكة عن الإنفاق إمساكًا كليًا ، يؤدي معنى قوله هنا : { وَلَا تَبْسُطْ يَدَكَ } . وقوله : { وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ } ، يؤدي معنى قوله هنا : { لَا تَبْسُطْ يَدَكَ } ، وأشار تعالى إلى هذا المعنى في قوله : { وَءَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْهُ تَبْذِيرًا } ، وقوله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوَةُ } ، على أصحّ التفسيرين . وقد أوضحنا الآيات الدالّة على هذا المعنى في أوّل سورة (البقرة) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } .

مسألة .

هذه الآية الكريمة التي هي قوله تعالى : { وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَا يَقْتُرُوا } ، والآيات التي ذكرناها معها ، قد بيّنت أحد ركني ما يسمّى الآن بالاقتصاد .

وإيضاح ذلك أنه لا خلاف بين العقلاء أن جميع مسائل الاقتصاد على كثرتها واختلاف أنواعها راجعة بالتقسيم الأوّل إلى أصليين ، لا ثالث لهما .

الأوّل منهما : اكتساب المال .

والثاني منهما : صرفه في مصارفه ، وبه تعلم أن الاقتصاد عمل مزدوج ، ولا فائدة في واحد من الأصليين المذكورين إلا بوجود الآخر ، فلو كان الإنسان أحسن الناس نظرًا في